

معالم الابتكار المالي في ظل الصناعة المصرفية الإسلامية Milestones of financial innovation under the Islamic banking industry

د مفتاح غزال^{1*}، مراد بركات²

BarkatMorad Ghezal Meftah

¹جامعة الجزائر 3، الجزائر، meftah.ghezal@univ-alger3.dz

²المركز الجامعي نور البشير - البيض -، الجزائر، barkat.ryadh@gmail.com

تاريخ النشر: 2022-03-31

تاريخ القبول: 2022-03-26

تاريخ الاستلام: 2022-02-01

ملخص:

أتى الاهتمام بالابتكار المالي في القطاع المصرفي الإسلامي في ظل الضغوطات التنافسية الحادة التي تفرضها التغيرات الجذرية في العالم بفضل ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات وتبقى المنافسة غير متكافئة بالنسبة للخدمات المصرفية الإسلامية إذا لم تتمكن من تطوير منتجات جديدة تمتاز بالمرونة، فكان حري على البنوك الإسلامية إيجاد طرق جديدة وأدوات مبتكرة قادرة على استيعاب التغيرات والتقلبات في الأسواق المالية العالمية التي تتسم بمخاطر عالية.

الكلمات المفتاحية: الابتكار المالي؛ المنتجات المالية؛ الصيرفة الإسلامية.

تصنيف JEL : XNN ؛ XNN

Abstract:

Interest in financial innovation in the Islamic banking sector came in the face of the severe competitive pressures imposed by radical changes in the world thanks to the information technology revolution. Innovative instruments capable of accommodating changes and volatility in high-risk global financial markets.

Keywords: Financial Innovation, Financial Products, Islamic Banking.

JEL Classification Codes : XNN ; XNN

1. مقدمة:

يواجه العمل المصرفي الإسلامي خلال السنوات الأخيرة تطورات سريعة متلاحقة على المستوى العالمي تتمحور حول مجالات متعددة عمودها الفقري هو الابتكار المالي وذلك على عدة مستويات، سواء كان ذلك على مستوى الابتكارات التكنولوجية الحديثة وتوظيفها في تقديم وأداء الخدمة المصرفية، أو على مستوى تقديم منتجات جديدة لتلبية الحاجات والرغبات المتنامية للعملاء وهذا ما جعل من العمل المصرفي الإسلامي صناعة عالمية مزدهرة وناضجة بالحوية تستقطب اهتماما وإقبالا عالميا متزايدا يوما بعد يوم.

إن القوة الدافعة التي تقف وراء عمل البنوك الإسلامية هي الابتكار المالي والذي يعد نواة القطاع المصرفي الإسلامي، بكونه مقياس لأداء وفعالية وكفاءة البنوك في سعيها لتحقيق الريادة في قطاع الصناعة المصرفية لأجل ذلك تنفق الأموال الطائلة لبناء بيئة مالية قائمة على الابتكار، والتي من شأنها تعزيز السيولة المالية، تطوير الأدوات المالية، وإيجاد قنوات لتنويع في الإيرادات في ظل مستويات مقبولة من المخاطر، وبكل تأكيد تلبية الاحتياجات المتنوعة للعملاء دون الخروج عن إطار فقه المعاملات المالية الإسلامية.

إشكالية الدراسة:

إدراكا من القائمين والمهتمين بالمنظومة المصرفية الإسلامية بأهمية ابتكار أدوات مالية إسلامية، سعوا إلى تطوير ومحاولة إيجاد أدوات مالية ذات فعالية عالية تجمع بين الربحية والتنويع والاستجابة لمختلف آجال الاستحقاق والرغبات، ومن هذا المنطلق يمكن طرح الإشكالية التالية:

هل طورت الصناعة المصرفية الإسلامية نفسها لتتمكن من تقديم مجموعة شاملة من الحلول المالية البديلة والتي تتوافق مع المبادئ الأخلاقية؟

فرضيات الدراسة:

للإجابة على الإشكالية المطروحة تمت صياغة ثلاث فرضيات رئيسية على النحو التالي:

1- تجاوزت الصيرفة الإسلامية مرحلة إثبات الوجود لتدخل مرحلة جديدة تكمن في الابتكار والمنافسة عالميا؛

2- للبنوك الإسلامية منهج فكري خاص بها مستقل تماما عن منهج البنوك التقليدية في ابتكار وتطوير منتجات مصرفية حديثة تمكنها من المنافسة عالميا؛

3- تملك البنوك الإسلامية استراتيجيات واضحة وهادفة في مجال الابتكار المالي والتي تمكنها من ضبط منتجاتها بعيدا عن المحاذير الشرعية.

منهج الدراسة:

وفقا لطبيعة الموضوع فقد كان لزاما على الباحثين اعتماد أسلوب محايد من خلال منهجية ملتزمة بأدوات البحث العلمي وقد تطلب ذلك استخدام المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم بتجميع البيانات

والمعلومات وتلخيص الحقائق المتعلقة بالابتكار المالي في المصارف الإسلامية، وتحليلها وفق أدوات ووسائل علمية مختلفة.

خطة الدراسة:

سعيًا للإلمام بالموضوع محل الدراسة، فقد تم تقسيمه إلى ثلاث محاور رئيسية:

المحور الأول: مفهوم الابتكار المالي في ظل المنظومة المصرفية الإسلامية.

المحور الثاني: الحاجات المتعددة للابتكار المالي وفق مناهج محددة في البنوك الإسلامية.

المحور الثالث: مسيرة الابتكار المالي في المصارف الإسلامية وأهم معوقاته.

2. مفهوم الابتكار المالي في ظل المنظومة المصرفية الإسلامية.

إن أساس وجود الصيرفة الإسلامية يستند للابتكار المالي والاختلاف عما هو سائد في البنوك التقليدية بإيجاد أدوات مالية واستثمارية مستمدة من فقه المعاملات المالية الإسلامية ولا تعترف بسعر الفائدة الربوي معياراً لتحقيق الأرباح.

1.2 تعريف الابتكار المالي المصرفي:

إن أبسط تعريف للابتكار هو: تطبيق الأفكار المطورة أو الأساليب التي ستلبي الاحتياجات الحالية أو الجديدة في السوق "فعندما نبتكر في البنك نقوم بتغيير المنتجات والخدمات التي نقدمها لتلبية للاحتياجات المتغيرة للسوق ولعملائنا، وإذا تمكنا من إنجاز هذا التغيير قبل منافسينا، سنحظى برضا العملاء الجدد إلى جانب الاعتزاز بعملائنا الحاليين، والابتكار لا يعني بالضرورة أن تكون أول ما ينجز شيئاً، بل يعني أن تتجزه بشكل مختلف وأفضل من أي شيء آخر، وأن تضمن أن المنتج أو الخدمة التي تطرحها في السوق ستلبي احتياجات العمال." (الرئيسي، 2019)

وكذلك يعرف الابتكار المالي أو ما يسمى بالهندسة المالية "بأنها التصوير والتطوير والتتقيد لأدوات وآليات مبتكرة، والصياغة لحلول إبداعية لمشاكل التمويل" (السويلم س.، 2000، صفحة 5) وهو بذلك يشير إلى الهندسة المالية حيث تتضمن ثلاثة أنواع من الأنشطة التالية:

- ابتكار أدوات مالية جديدة.
- ابتكار آليات تمويلية جديدة من شأنها تخفيض التكاليف الإجرائية لأعمال قائمة، مثل التبادل من خلال الشبكة العالمية والتجارة الإلكترونية.
- ابتكار حلول جديدة للإدارة التمويلية، مثل إدارة السيولة أو الديون أو اعداد صيغ تمويلية لمشروعات معينة تلائم الظروف المحيطة بالمشروع. (قندوز، 2007، صفحة 11)
- ولذا فلا ابتكار مالي في الصيرفة الإسلامية يشترط أن تكون الابتكارات في الأدوات أو العمليات التمويلية موافقة للشريعة الإسلامية.

ومما سبق نستنتج أن:

الابتكار المالي: هو قدرة البنك على التوصل إلى ما هو جديد غير مألوف وغير متداول أو إعادة تطوير ما هو مطبق بحيث يضيف قيمة أكبر وأسرع من المنافسين في السوق والميل نحو تقديم منتجات وخدمات وتقنيات مالية ومصرفية مصممة خصيصا لتلبية حاجيات العملاء والمتوافقة مع ضوابط وقواعد فقه المعاملات المالية الإسلامية.

وبذلك فإن الابتكار المالي في ظل المنظومة المصرفية الإسلامية من حيث المفهوم العام لا يختلف عن مفهومه في البنوك التقليدية وهو إيجاد أدوات جديدة تتناسب مع المتطلبات الحديثة في ظل التغيرات في رغبات وحاجيات العملاء وإنما يختلف عنها من ناحية الوسيلة والغاية والأهداف فلا بد من شرعية الوسائل المستخدمة في عملية الابتكار وتكون موجهة لتجسيد أهداف تحقق المصالح العامة وليس فقط الشخصية.

كما يستند الابتكار المالي على مبدأ الرشادة المالية والاقتصادية لاختيار أحسن البدائل الممكن اعتمادها في الممارسات الفعلية بصفة كلية أو جزئية في النشاط المصرفي والتي يطمح من خلالها البنك إلى تحقيق مكاسب معتبرة في حالة النجاح ولذلك فإن كل عملية ابتكار في المصارف الإسلامية تمر بمراحل رئيسية وهي:

- تحديد الاحتياجات المالية للمتعاملين الاقتصاديين.
- تحديد النقائص وأوجه القصور في جوانب التمويل.
- محاولة سد تلك الفجوة بين إيجاد المنتج أو الأداء أو التقنية المناسبة لها.
- طرح المنتج الجديد أو الأداة أو التقنية الحديثة في السوق.
- تقييم مدى نجاعة المنتج الجديد أو الأداة أو التقنية الحديثة بعد دخولها حيز التطبيق.
- تأكيد اعتماد الابتكار الجديد أو حذفه من السوق.

2.2 ضوابط الابتكار المالي في البنوك الإسلامية:

يستند الابتكار المالي في البنوك الإسلامية على مجموعة من الأسس والقواعد والتي تتمثل في خمسة ضوابط رئيسية هي:

1. الاستناد إلى العقيدة الإسلامية:

يتمثل الأساس العام الذي تقوم عليه المنتجات المصرفية الإسلامية في مراعاة ما شرعه الله سبحانه وتعالى في المعاملات باعتماد الشريعة الإسلامية أساسا لجميع التطبيقات واتخاذها مرجعا لا يمكن الحياد عنه.

2. استبعاد الفوائد الربوية:

إن الركيزة الأولى التي يبنى عليها الاقتصاد الإسلامي ومن ثم البنوك الإسلامية وبتالي الابتكار المالي هي تحريم الربا، فهي شرط أساسي وضروري في المعاملات المالية القائمة والمستحدثة والأدلة من الكتاب والسنة فهي كثيرة ويكفي التأكيد على إجماع الفقهاء والعلماء بحرمة الربا.

3. تجنب التعامل بالجهالة والغرر:

يهدف تحري الحلال في التمويل والاستثمار في البنوك الإسلامية للتأكد من تحصيل المال تحصيلًا شرعيًا واستخدامه استخدامًا خال من أي محظور شرعي وفق الأوامر والنواهي التي تحدد معالم الاقتصاد الإسلامي ومنه تجنب ابتكار أدوات مالية جديدة تكون فيها شبهة الجهالة أو الغرر أو الغبن أو أكل أموال الناس بالباطل.

4. الأخذ بمبدأ المشاركة في الربح والخسارة:

إن الأساس الذي تبنى عليه عملية تطوير آليات تمويلية جديدة أو صيغ وأدوات مصرفية إسلامية حديثة هو المبدأ العام لعمل البنوك الإسلامية نفسها، ألا وهو المشاركة في النتيجة ربحًا وخسارة، كسبًا وغرمًا، بدلًا من فائدة ثابتة وتستند هذه الآلية إلى قاعدة الخراج بالضمان، وقاعدة الغنم بالغرم ويقصد بهاتين القاعدتين أن الحصول على العائد أو الربح يكون بقدر الاستعداد لتحمل الخسارة.

5. الكفاءة الاقتصادية:

ضرورة أن يستند الابتكار المالي في المصارف الإسلامية إلى الكفاءة الاقتصادية عن طريق توسيع الفرص الاستثمارية في مشاركة المخاطر وتخفيض تكاليف الحصول على المعلومات وعمليات الوساطة والسمسة. (الساعاتي، 1999، صفحة 55)

3.2 أهمية الابتكار المالي في الصيرفة الإسلامية:

تكمن الأهمية الرئيسية للابتكار المالي في الدور المحوري الذي يقوم به في تنمية القطاع المصرفي الإسلامي وزيادة الكفاءة الاقتصادية للبنوك عن طريق تحسين أدائها ووظائفها (عبادة، 2008، الصفحات 112-113) ويتفرع من هذه الأهمية الرئيسية جملة من النقاط نذكرها:

- تنويع المصادر الربحية في البنوك الإسلامية.
- استجابة لفرص استثمارية وفقًا لتطلعات المستثمرين والمؤسسات معًا.
- ابتكار منتجات مصرفية إسلامية جديدة تدعم استقطاب الودائع وتزيد من القدرات التمويلية.
- تجنب تقادم المنتجات الحالية للمحافظة على النمو، وكما هو معلوم أن لكل منتج دورة حياة وفي مرحلة تشبع السوق يتوقف الطلب على المنتج ويستقر عند أدنى مستوياته.
- درء للمخاطر واللايقين المحيط بالأنشطة الاستثمارية بتنويع صيغه وقطاعاته.
- التعامل مع قيود المنافسة الدولية ودعم المركز التنافسي للمؤسسة المالية في السوق.
- المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء.

- التطوير المستمر للمنتجات يزيد من خبرة المؤسسة ويبقيها في حيوية مستمرة.(صالح، 2002)
- بالإضافة إلى عناصر آخر وهي:
- دعم الكفاءة المالية للأسواق المالية والنقدية على حد سواء من خلال السرعة والشفافية التي تنعكس في سعر المنتجات الجديدة.
- تحسين نظم المدفوعات البنكية باستغلال التطور التقني الحاصل في مجال الوسائط الالكترونية والرقمية مما يقلص الضغط على شبابيك السحوبات الجارية لدى البنوك.
- حل مشكلة السيولة الفورية.
- إيجاد حلول للتحوط ضد المخاطر المالية وفق طريق آمنة وغير تقليدية لتنفيذ العمليات المصرفية.
- تسهيل تواصل العميل مع البنك من خلال قنوات متعددة سواء الانترنت أو الهاتف الذكي أو مركز خدمة العملاء أو البريد الصوتي أو الرسائل النصية القصيرة.
- يوفر الابتكار المصرفي حلول ذكية من خلال إحداث ثورة في صناعة المصارف الإسلامية بتسريع عملية معالجة البيانات فيما يتعلق بالتحويلات النقدية وغير نقدية.
- يسهم الابتكار المالي في تلبية رغبة العملاء المتنوعة وتغطية كافة القطاعات الاقتصادية التي ترغب في التمويل والاستثمار.
- البحث عن منتجات مصرفية إسلامية بديلة للمنتجات المصرفية التقليدية.(جاسر، 2010)

3.الحاجات المتعددة للابتكار المالي وفق مناهج محددة في البنوك الإسلامية.

الابتكار المالي في البنوك الإسلامية ضرورة ملحة في ظل مجموعة من المعطيات والمبررات وفق مناهج متعددة.

1.3حاجة البنوك الإسلامية للابتكار المالي:

على الرغم من أن المصارف الإسلامية نجحت في إثبات وجودها وترسيخ تجربتها في صرح الصناعة المصرفية العالمية إلا أنها لا تزال في أمس الحاجة لبذل المزيد من الجهد لتعزيز هذا النجاح وهذا راجع للعوامل التالية:

1- المنافسة الكبيرة من البنوك التقليدية:

تواجه البنوك الإسلامية منافسة شرسة تفرضها البنوك التقليدية التي اقتحمت بدورها مجال الصيرفة الإسلامية من خلال فتح شبابيك للمعاملات المالية الإسلامية بهدف اقتناص عملاء البنوك الإسلامية إذ أنه يوجد قرابة 330 بنك تقليدي يقدم منتجات مصرفية إسلامية ومن أمثلة هذه البنوك التقليدية نجد بنوك دولية عملاقة على غرار تشيس منهاتن، سيتي بنك، جرنلايزر وليكين ورت بينسون وبنوك أخرى مثل

يونيون بنك أوف سويسر لاند، كما نجد: بنك مصر في مصر وبنك الأهلي التجاري في السعودية فتحتا فروعاً إسلامية، وفي ماليزيا سمح للبنوك التجارية بفتح نوافذ إسلامية. (اقبال، 1998، صفحة 21)

وفي حقيقة الأمر يمكن النظر لهذه الإشكالية من زاويتين متعاكستين، فمن جهة يمكن القول أن المنافسة إيجابية لأنه ببساطة قد تمكن البنوك الإسلامية من تحسين جودة الخدمات القائمة وابتكار صيغ ومنتجات مالية جديدة غير ربوية مما قد يسهم في رقي العمل المصرفي الإسلامي، ومن جهة أخرى يمكن أن تكون سلبية على المصارف الإسلامية نظراً لافتقارها للخبرة الكافية وحادثة نشأتها، أضف إلى ذلك الغموض الذي يشوب بعض أنشطتها والصيغ التي تتعامل بها مقارنة بالبنوك التقليدية التي تتوفر على خبرة كافية للتنوع والابتكار مما يعرض البنوك الإسلامية إلى منافسة غير متكافئة.

2- التنامي والتطور المتزايد للرغبات المالية للزبائن:

وهذه الحاجة هي نتيجة حتمية لتحسين مستوى المعيشة والمستوى الثقافي العام في المجتمع والذي يؤدي بدوره إلى تغير حاجات الفرد ونوعية الوسائل والمنتجات والخدمات المطلوبة لإشباعها، مما يفرض على البنوك الإسلامية متابعة هذه التغيرات والاستجابة السريعة لها من خلال تحسين المنتجات الحالية وابتكار خدمات مالية حديثة ومواكبة التطورات المصرفية محلياً وعالمياً في ظل مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية.

3- التطور التكنولوجي:

دفعت الطفرة الالكترونية التي شهدتها القطاعات المصرفية العالمية خلال الأعوام الماضية البنوك الإسلامية إلى ضرورة تعديل استراتيجياتها في تقديم الخدمات المالية لعملائها، لتضع في أولوياتها تطوير المنتجات المصرفية الإسلامية لتقادي تقادماً واستحداث برامج للبحث والتطوير وأساليب جديد في الابتكار وهذا يعد مؤشراً واضحاً على استجابة البنوك لهذا التطور في ظل ثورة المنتجات المصرفية الالكترونية.

2.3.3 منهج الابتكار المالي في المصارف الإسلامية:

للابتكار المالي في البنوك الإسلامية مدخلين أو منهجين رئيسيين كما يلي:

1- منهج المحاكاة:

تعريفه: يعني أن يتم التعرف مسبقاً على النتيجة المراد الوصول إليها من خلال تحويل منتج تم ابتكاره وفق أسس الهندسة المالية للبنوك التقليدية وجعله يتماشى مع متطلبات البنوك الإسلامية وفي الغالب عمليات المحاكاة تتم على الأدوات المالية التقليدية التي لا تكون محل خلاف أو شك من الناحية الشرعية وأن كانت محل خلاف لكن يمكن تحويل الشبهة لتصبح مقبولة إسلامياً.

- **ميزة منهج المحاكاة لصالح البنوك الإسلامية:**

إن محاكاة المصرفية الإسلامية لنظيرتها التقليدية في الابتكار المالي تبقى من أهم المشكلات التي تواجه البنوك الإسلامية وتحرفها عن مسارها ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن جميع المنتجات التي تقدمها الصناعة المالية التقليدية غير مناسبة لتمويل الإسلامي إذ يجب التمييز بين الاقتباس بما يتلاءم مع فلسفة التمويل الإسلامي ومبادئه وبين محاكاة الأساس الذي تقوم عليه المنظومة التقليدية ومع ذلك يترك هذا أثره الخطير في حين لا يتطلب إنتاج هذه الأدوات الكثير من الجهد والوقت في البحث والتطوير بل مجرد متابعة المنتجات التي تطرحها الصناعة التقليدية ونقلها من خلال توسيط السلع. (جاسر، 2010)

- سلبيات المحاكاة على البنوك الإسلامية:

- في المقابل هناك الكثير من السلبيات لهذه المنهجية منها:
- الضوابط الشرعية تصبح مجرد قيود شكلية وهذا ما يضعف قناعة العملاء بالمنتجات الإسلامية ويجعل التمويل الإسلامي محل شك.
- فيظل المحاكاة تصبح الضوابط الشرعية عبئا أمام المؤسسات المالية إذ هي لا تحقق أي قيمة مضافة، بل مجرد تكلفة إضافية يتحملها العميل لتكون المنتجات المالية الإسلامية المقلدة في النهاية أكثر كلفة من المنتجات الربوية مع أنها تحقق في النهاية النتيجة نفسها.
- إن المنتجات التقليدية تناسب الصناعة التقليدية وتحاول معالجة مشكلاتها ومحاكاة هذه المنتجات يستلزم التعرض لنفس المنتجات وهذا بدوره يستلزم محاكاة المزيد من المنتجات التقليدية بحيث تصبح الصناعة الإسلامية في النهاية تعاني من نفس الأزمات التي تعاني منها الصناعة التقليدية. (السويلم س.، 2008، الصفحات 128-130)

2- منهج الأصالة والابتكار:

تعريفه: الطريقة الثانية لتطوير المنتجات الإسلامية هو البحث عن الاحتياجات الفعلية للعملاء والعمل على تصميم المنتجات المناسبة لهم، فاستجابة لاحتياجات العملاء هي مصدر الابداع والابتكار. (السويلم س.، 2006)

- ميزة منهج الأصالة والابتكار للبنوك الإسلامية:

يتطلب هذا المنهج دراسة مستمرة لاحتياجات العملاء والعمل على تطوير الأساليب التقنية والفنية اللازمة لها، ولا ريب أن هذا المنهج أكثر كلفة من التقليد والمحاكاة ولكنه في المقابل أكثر جدوى وأكثر إنتاجية، والتكلفة غالبا ما تكون مرتفعة في بداية تطبيق المنتج ثم بعد ذلك تتخفف التكاليف إلى مستوى التكلفة الحدية المعتادة في المنتجات المالية لكن المؤسسة التي تبادر أو لا تتجح في استقطاب نسبة أكبر من السوق، ومن ثم تضمن جدوى طرح منتجات جديدة، كما يعمل هذا المنهج على الحفاظ على استقلالية البنوك الإسلامية وجعل الابتكار المالي ينبع من عمق المنظومة الفكرية للمصرفية الإسلامية والذي من شأنه أن يرفع قدرة الكفاءة الاقتصادية للمنتجات المالية الإسلامية. (السويلم س.، 2008، الصفحات 131-132)

- متطلبات منهج الأصالة والابتكار في البنوك الإسلامية:

- لتجسيد هذا المنهج يحتاج إلى تضافر مجموعة من العوامل والشروط أهمها:
- ضرورة توافر البنوك الإسلامية على إطارات وكوادر بشرية مدربة ومؤهلة بما يكفل القدرة على التطوير والابتكار.
 - ضرورة إيجاد بيئة مالية وتشريعية ومراكز بحث متطورة بأماكنها المساهمة في الابتكار المالي.
 - دراسة مستمرة لاحتياجات العملاء المتنامية وتطوير الأساليب التقنية والفنية اللازمة لها.
 - دراسة مستمرة لاحتياجات السوق المصرفية العالمية للمنتجات والأدوات المالية الجديدة ومدى إمكانية المساهمة فيها.

4. مسيرة الابتكار المالي في المصارف الإسلامية وأهم معوقاتها.

مرت البنوك الإسلامية بعدة مراحل في تطوير منتجات مالية إسلامية منذ ظهوره إلى يومنا هذا وواجهت العديد من العراقيل.

1.4 مسيرة الابتكار المالي في المصارف الإسلامية:

1- المرحلة التمهيدية للابتكار المصرفي الإسلامي (1970-1989):

لقد واجه رواد البنوك الإسلامية مشكلتين أساسيتين وهم بصدد إحياء وتجديد أدوات التمويل الإسلامي، الأولى تخص انتقاء أكثر الأدوات ملائمة لتمويل الأنشطة الاقتصادية المعاصرة والثانية تخص تجديد هذه الأدوات بإجراء التعديل والتطوير في كل منها حتى يمكن الاعتماد عليها خلال النشاط المصرفي، إلا أن عملية تجديد وتطوير الأدوات التقليدية للتمويل الإسلامي لم تكن سهلة ولم يكن ممكن أن تكون دفعة واحدة مهما بلغت الخبرة والمعرفة لدى من قام بذلك. (المكاوي، 2013، صفحة 388)

وترتب عن ذلك دراسة وتطوير خدمات المصارف الإسلامية وتعديل القيود المعروفة في الوقت الحالي، كأدوات للتمويل والاستثمار في المصارف الإسلامية وهي عقود مطورة من عقود وصيغ أصلية في فقه المعاملات المالية وهذه الصيغ تمثلت فيما يلي:

- تطوير صيغة المراجعة إلى المراجعة لأمر بالشراء مع دفع العربون (التسبيق) مع إمكانية تقسيط قيمة المراجعة.
- تطوير صيغة الاجارة المنتهية بالتملك فظهر نوعان من الاجارة وهما التأجير التشغيلي والتأجير التمويلي.

- تطوير صيغة السلم، فبدلاً من التعامل المباشر بالسلم يستخدم السلم الموازي.
- تطوير صيغة الاستصناع إلى عقد الاستصناع الموازي.
- تطوير صيغة المضاربة إلى المضاربة المطلقة والمضاربة المقيدة.
- تطوير خدمة المشاركة إلى المشاركة الثابتة والمشاركة المنتهية بالتملك. (الوادي ونزال، 2010، الصفحات 495-499)

2- مرحلة ركود الابتكار المصرفي الإسلامي (1990-1999):

إذا كانت الأدوات المالية قد نجحت بعد تطويرها الأول في إنجاز بعض أهداف الصيرفة الإسلامية، إلا أن التمويل المصرفي الإسلامي عاش حالة من الركود بعد حقبة الثمانينات من القرن الماضي لأنه عجز عن التطور والتطوير الذي يعتمد على الابتكار والتجديد وهذا بدوره يستدعي الاجتهاد فهذه ليست من الثوابت العقدية ولم يكن اختلاف العملاء من المدارس الفقهية المختلفة في بعض التفاصيل إلا لبس وذلك من قبيل الحرص على التمسك بالثوابت الشرعية وكذا مجارات التطورات والمستجدات في الحياة الاقتصادية في ظل الثوابت الشرعية. (المكاوي، 2013، الصفحات 388-389)

إن هذه المرحلة التي تلت عملية إيجاد أدوات مالية إسلامية أساسها صيغ ومعاملات ثابتة في فقه المعاملات المالية الإسلامية أمر منطقي لأن مرحلة الابتكار تليها مباشرة مرحلة أكثر أهمية وهي مرحلة التنفيذ والتجسيد الفعلي للمنتجات الجديدة وكذا فهم مضمونها وطرق تطبيقها وإثبات وجودها.

3- مرحلة مواكبة الابتكارات الحديثة (2000-2014):

حققت المصرفية الإسلامية نجاحا كبيرا في تطوير العمل المصرفي الإسلامي من خلال أدوات ومنتجات مبتكرة والتي تمثلت في الصكوك الإسلامية **islamique bonds** والتي هي منتج مالي إسلامي بدأ على يد الأكاديميين والعلماء المسلمين ثم دخلت السوق من بوابة الفقه الإسلامي وليس من بوابة الممارسات المصرفية الفعلية، ونشأ بعدها سيل من التطبيقات للصكوك في بلدان متعددة منذ أوائل عام 2001 عندما أصدرت البحرين أول الصكوك الإسلامية المبنية على فكرة الأصول الثابتة المؤجرة ثم قامت منظمة المراجعة والمحاسبة المالية الإسلامية بالبحرين بإصدار المعيار رقم 17 في شهر نوفمبر 2003 حول الصكوك الإسلامية. (قحف، 2011، الصفحات 121-122)

وتمثلت أهم إصدارات الصكوك المبتكرة خلال هذه الفترة فيما يلي:

-صكوك الصناديق الاستثمارية.

-صكوك الاجارة.

-صكوك المقارضة (المضاربة).

-صكوك المشاركة.

-صكوك المرابحة (ممكنة فقط في حالة السوق الأولي).

حيث تجاوزت قيمة الصكوك خلال سنة 2013 الـ 100 مليار دولار من حيث إصدارات الصكوك الجديدة لتنتهي السنة بإجمالي إصدارات بمبلغ 119.7 مليار دولار، على الرغم من أن المبلغ المسجل جاء بانخفاض بنسبة 8.77 بالمئة عن سنة 2012. (مركز بيان للهندسة المالية الإسلامية، 2019)

كما كشف تقرير حول التنافسية العالمية للقطاع المصرفي الإسلامي 2013 - 2014 و الذي اطلقته ارنست ويونغ (EY) خلال المؤتمر العالمي للمصارف الإسلامية في المنامة في البحرين أن العديد من المصارف تقوم حاليا باستبدال أو ترقيّة نظامها المصرفي الأساسي في ضوء معايير بازل 3 والمبادئ التوجيهية لمجلس الخدمات المالية الإسلامية والتعاون بين مقدمي خدمات الاتصالات المتنقلة والمصارف

لتعزيز سرعة اعتماد الخدمات المصرفية عبر الهاتف المتحرك، وتجاوز نطاق عمليات الدفع إلى وفرات ومنتجات تمويلية أكثر تعقيدا والذي سيكسبها كفاءة أكثر للانفتاح على الأسواق المالية العالمية.

إلا أن ما يعاب على البنوك الإسلامية حجب ما كشفت عنه الاكاديمية العالمية للبحوث الشرعية (اسرا مقرها ماليزيا) ازدياد انتشار ظاهرة المشتقات المالية الإسلامية وقالت في دراسة لها بعنوان "المشتقات المالية والتمويل الإسلامي" أن معدل نمو هذه المشتقات يزيد على أي قطاع آخر من الأوراق المالية وعزت التوسع في هذا الانتشار إلى مرونتها وسهولة استخدامها واعتبرتها من البدائل المفيدة للاحتفاظ بالسلع الرئيسية، غير أن المشتقات مازالت موضع تحفظ من قبل العلماء ورجال الدين كونه تنطوي على الغرر. (الجريدة الاقتصادية الالكترونية، 2011)

2.4 مشاكل الابتكار المالي في المصارف الإسلامية:

تواجه البنوك الإسلامية مجموعة من المشاكل تقف عائقا في طريق تجسيد ابتكاراتها المالية وهي بمثابة تحديات مفروضة إما من المحيط الذي تنشط فيه (عوامل خارجية) أو نابعة من عمق منظومتها الداخلية (عوامل داخلية).

1. التحديات الداخلية للابتكار المالي في البنوك الإسلامية:

تتجسد التحديات الداخلية للابتكار المالي في البنوك الإسلامية فيما يلي:

- تعتمد البنوك التي تقدم خدمات مالية متوافقة مع مبادئ الشريعة الإسلامية بشكل أساسي على الصيغ التمويلية منخفضة المخاطر، أي تلك التي تكون عوائدها شبه مؤكدة وهي البيوع وبشكل خاص البيع بالأجل والمراوحة والاجارة (التمويلية والتشغيلية) ثم المشاركات (المشاركة والمضاربة) وهذا لا يتوافق مع روح التمويل الإسلامي القائم على المشاركة مما يحد من القدرات الابتكارية لديها.
- وجود بطء في طرح المنتجات المبتكرة وسبب ذلك مرده أن البنوك تدخل في استثمارات بأموال المودعين (الغالب أصحاب الودائع الجارية ولأجل) ولا شك أن الاستثمار بأموال الغير (وهي أموال مضمونة لأصحابها) فيه مخاطر إضافية على البنك لهذا تتجه تلك الأموال بشكل طبيعي نحو الاستثمارات الأقل خطرا.
- تخوف البنوك الإسلامية من اخفاق المنتجات الجديدة.
- إن الابتكار في الصناعة المالية الإسلامية مضبوط بضوابط قوية عكس الابتكار في الصناعة التقليدية حيث لا ضوابط أمام المهندس المالي والعاملين في مجال البحث والتطوير لهذا السبب لا يمكن التعامل بأدوات تقوم على الفائدة أو العوائد المضمونة أو التعامل بعقود الخيارات المالية والمشتقات الائتمانية.
- الابتكار والحلول الجديدة دائما ما تصطدم بالاختلافات الفقهية وأثارها على الصناعة المالية الإسلامية في حد ذاتها، قضية مختلفا عليها بين من يرى أنها تمثل أحد العوائق التي تحد من انتشار التمويل الإسلامي ومن يرى أنها تؤدي إلى التنوع واثراء تجربة الصناعة المالية الإسلامية.

- غياب الكفاءات البشرية التي تتمتع بمعرفة أساسيات العلوم المالية والمصرفية إضافة إلى الالمام بالعلوم الشرعية.

2. التحديات الخارجية للابتكار المالي في البنوك الإسلامية:

- تتجسد التحديات الخارجية للابتكار المالي في البنوك الإسلامية فيما يلي:
- خضوع المؤسسات المصرفية الإسلامية لمعايير وضوابط لا تتفق مع طبيعة عملها في الدول التي تنشط فيها ومعاملتها بنفس المعايير والضوابط المالية المطبقة على البنوك التقليدية، وبالتالي قصور بعض القوانين على معالجة مهمة البنوك الإسلامية في تحقيق متطلبات عملائها في تطبيق صيغ التمويل اللاربوية.
 - افتقار البنوك الإسلامية إلى آليات وأدوات تكنولوجية حقيقية لتطوير خدماتها وتحسين نوعيتها خاصة التي تنشط في دول لا تتوفر على البنية التكنولوجية الحديثة أو البطء في تطبيق بعض الوسائط الإلكترونية مما يحد من قدرة تلك البنوك في ابتكار أدوات مالية مصرفية تعتمد على التكنولوجيا الحديثة، ولا يتسنى لها ذلك إلا بمسايرتها للتكنولوجيا الحديثة ومحاولة تقليص الفجوة التكنولوجية بينها وبين الصناعة المالية التقليدية، خصوصا وأن التسارع في التغيرات والتعقد في الاحتياجات المالية والمصرفية للأفراد و المؤسسات لا بد أن يصاحبه تسارع في التطوير و التحديث في النظم والخدمات والمنتجات المصرفية المقدمة.
 - افتقار إلى أسواق مالية ثانوية إسلامية للتداول لا يمكن للبنوك الإسلامية اللجوء إلى أسواق المالية العالمية أو المؤسسات المصرفية التقليدية في حال نقص السيولة أو الرغبة في توظيف فائض السيولة لديها لاختلاف طبيعة عمل هذه المؤسسات عن طبيعة عمل البنوك الإسلامية.
 - دعم وجود هيئات رقابة شرعية في المستوى المطلوب خاصة من الناحية التقنية إذ يفتقرون للخبرة في الأمور المحاسبية والمالية مما يجعل الحكم من قبلهم على أدوات وصيغ التمويل وآليات العمل الجديدة في الكثير من الأحيان تشوبها الكثير من الشكوك والانتقادات مما يصعب التوصل إلى فتوى موحدة.

5. الخاتمة:

- جاءت هذه الدراسة كمحاولة لرسم معالم الابتكار المالي في ظل القطاع المصرفي الإسلامي وذلك بغية تشخيص واقع الابتكار في خضم الضغوط التنافسية الحادة التي تفرضها التغيرات الجذرية على البنوك الإسلامية والاستفادة منها كحلول تساهم مستقبلا في تطوير هذه الصناعة وتم الوصول إلى بعض النتائج منه:
- طورت صناعة التمويل المصرفي الإسلامي نفسها للتمكن من تقديم مجموعة شاملة من الحلول المالية البديلة والتي تتوافق مع المبادئ الأخلاقية بما في ذلك سلسلة كاملة من الخدمات المصرفية التجارية وأدوات سوق رأس المال الإسلامية وحلول إدارة الثروات والأصول الإسلامية بالإضافة إلى خدمات التمويل الأصغر.

- لا يمكن للبنوك الإسلامية أن تتنافس على المستوى العالمي باتباع نهج أسلمة المنتجات المصرفية التقليدية وإضفاء صبغة الشرعية عليها والذي من شأنه الإضرار بالصناعة المصرفية الإسلامية إلا باتباع نهج الأصالة والابتكار.

- للحفاظ على النمو والنجاح الذي حققه قطاع البنوك الإسلامية يستلزم عليها ابتكار منتجات تحمل طابع الاستقلالية عن المنتجات التقليدية القائمة والاستفادة من التقنية الحديثة المتسارعة والمتطورة والتي هي إحدى عناصر قوة النظام المصرفي التقليدي، وإلا فهي ستظل غير قادرة على المنافسة.

- تمتلك المصارف الإسلامية الكثير من الخيارات التي من شأنها المساهمة في ابتكار أدوات مالية جديدة تعمل على تخفيف المشاكل التي تعاني منها، وهي معنية بالعمل على تنويع وتفعيل الأدوات المالية الأقل اشكالا من الناحية الشرعية كالمشاركة.

- إن نجاح المصارف الإسلامية يتطلب توفير أدوات مالية ذات فعالية وكفاءة عالية تجمع بين الربحية والتنويع والاستجابة لمختلف أجال الاستحقاق مع احترام الأسس والضوابط التي قامت عليها البنوك الإسلامية.

وفي سبيل تجاوز العقبات أمام تطوير وابتكار صيغ مالية إسلامية يتم التوصية بما يلي:

- عدم اقتصار دور الهيئات الشرعية في المصارف الإسلامية على التحليل والتحريم بل عليها أن تقود عمليات الإبداع والتطوير في المنتجات والآليات المصرفية لدى المصارف الإسلامية.
- ضرورة أن تكافح البنوك الإسلامية لتوفير الخدمات ومواكبة الطفرة التكنولوجية من خلال الانفاق على مشاريع البحث والتطوير وإبرام عقود واتفاقيات تعاون مع مؤسسات متخصصة في الدعم الفني لهندسة منتجات مالية تتلاءم وطبيعة المنظومة المصرفية الإسلامية، لأن الإبداع والابتكار أهم أولويات المرحلة المقبلة.

ضرورة أن تكون لدى المصارف الإسلامية استراتيجيات واضحة وهادفة بهذا الخصوص والتي تمكنها من ضبط عملية الابتكار المالي بعيدا عن التخبُّط والتناقض بين الأهداف والتطبيق.

6. قائمة المراجع:

- 1- ابراهيم عبد الحليم عبادة. (2008). مؤشرات الأداء في البنوك الإسلامية. عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع.
- 2- الجريدة الاقتصادية الالكترونية. (05 06، 2011). المصرفية الإسلامية وسط تحفظ فقهي: مصارف إسلامية تبحث سرا إصدار مشتقات مالية.
- 3- سامي بن ابراهيم السويلم. (2008). التحوط في التمويل الإسلامي. جدة: البنك الإسلامي للتنمية: المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب.
- 4- سامي بن ابراهيم السويلم. (2000). صناعة الهندسة المالية نظرات في المنهج الإسلامي. جدة: مركز البحوث شركة الراجحي المصرفية للاستثمار.
- 5- سامي بن ابراهيم السويلم. (4 9، 2006). المنتجات المالية الإسلامية بين الابداع والتقليد.
- 6- عبد الحميد عبد الرحيم الساعاتي. (1999). نحو مشتقات مالية إسلامية لإدارة المخاطر التجارية. مجلة جامعة الملك عبد العزيز في الاقتصاد الإسلامي، المجلد 11، صفحة 55.
- 7- عبد الكريم قندوز. (2007). الهندسة المالية الإسلامية. مجلة جامعة الملك عبد العزيز في الاقتصاد الإسلامي، المجلد 20-العدد 2، صفحة 11.
- 8- عبد الله الرئيسي. (17 11، 2019). الابتكار في مجال الصناعة المصرفية أكثر من مجرد استخدام التكنولوجيا. مجلة الريادة الاقتصادية.
- 9- فتح الرحمان علي محمد صالح. (ديسمبر، 2002). أدوات سوق النقد الإسلامية: مدخل للهندسة المالية الإسلامية. مجلة المصرفي، العدد 26، بنك السودان.
- 10- محمد عامر جاسر. (20-21 مارس، 2010). نحو منتجات مالية إسلامية مبتكرة. مؤتمر المصارف الإسلامية اليمنية: الواقع وتحديات المستقبل. صنعاء.
- 11- محمد محمود المكاوي. (2013). الاستثمار في البنوك الإسلامية. مصر: دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع.
- 12- محمود حسين الوادي، عبد الله ابراهيم انزال. (2010). الخدمات في المصارف الإسلامية: آليات تطوير عملياتها. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- 13- مركز بيان للهندسة المالية الإسلامية. (8 10، 2019). 2.1 تريليون دولار أصول التمويل الإسلامي التي تم توقعها سنة 2015.
- 14- منذر قحف. (2011). أساسيات التمويل الإسلامي. ماليزيا: الأكاديمية العالمية للبحوث الشرعية.
- 15- منور اقبال. (1998). التحديات التي تواجه العمل المصرفي الإسلامي. جدة: البنك الإسلامي للتنمية: ورقة عرضية رقم 02.